التلوين الصوتي في القرآن الكريم وأثره الدلالي

دراسة نصية

الباحث /محمد عبد الحليم عبد المنعم أبو عرب

لدرجة الدكتوراة كلية الاداب – جامعة حلوان

تحت اشراف

أ.د/ نادية رمضان

استاذ العلوم اللغوية كلية الاداب – جامعة حلوان

أحكام التلاوة :

أفي افتتاح بعض سور القرآن بحروف الهجاء على نحو لم تعرفه العرب قبلُ إشارة إلى التأثير الصوتي ؟

هل يدل المد في أوائل السور على أن للصوت أثرًا في الدلالة؟

تلك تساؤلات نلتمس توضيحها في هذا البحث .

"لا تكاد تعدو اللغة في مظهرها عن أن تكون أصواتًا إنسانية"[١] ، "ويعد علم الأصوات الخطوة الأولى في أية دراسة لغوية"[٢] ، فمن المعلوم أن "أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات"[٣] ، فالأصوات "أدلة المعاني"[٤] ، و"علاقة الصوت باللغة علاقة وثيقة ، فاللغة أداؤها الأصوات"[٥] ، وبتعبير آخر فإن "أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة"[٦] ، ويمكن القول بأن "اللغة ألفاظ ذات معانٍ يتفاهم بها الناس"[٧] ، "وعدد الأصوات اللغوية الممكنة يكاد يمتد إلى ما لا نهاية . وليس هناك من آلة موسيقية تساوي الجهاز الإنساني في تنوع

[١] د إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص١١٩ .
[٢] د إبراهيم مصطفى إبراهيم : فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٩ ، ص١٥٦
[٣] السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الفكر ، لم تذكر سنة الطبع ، ج١ ، ص١٤ .
[٤] ابن جني : الخصائص ٢٧١/٣ .
[٥] د حسني عبد الجليل يوسف : التمثيل الصوتي للمعاني ، ص١٣ .
[٦] د إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص٢٩ .
[٧] د محمد حسن جبل : المعنى اللغوي ، مكتبة الآداب ، ط٢ ،٢٠٠٩ ، ص٩ .

الأصوات التي يصدرها"[١] ، وقد عرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢] ، ولذلك يقول الخطّابي : "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى قائم به ، ورباط لهما ناظم"[٣] ، والأصوات اللغوية متجانسة ، "ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا ، فهي تكوّن نظامًا متجانسًا مغلقًا ، تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها ؛ هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات ؛ وهي ذات أهمية قصوى ، لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة ، بل من نظام من الأصوات"[٤] ، والصوت هو الذي يميز اللغة الناطقة عن لغة الإشارة ، يقول ستيفين أولمان : "تؤدي الكلمات وظائفها بنفس الطريقة التي تتبعها الرموز والعلامات الأخرى ، غير أن خاصتها المميزة هي أنها تستخدم أصواتًا واضحة المعالم لأداء هذه الوظائف"[٥] ، "وعلى ذلك فليست اللغة مجموعة من الأصوات المستقلة بذاتها عن الدلالة أو الوظيفة"[٦] ، إذ "إن عملية النطق تترك بصمتها على كل منطوق"[٧] ، "ولا شك أن الاهتمام بالأصوات ليس جديدًا ، وإنما هو قديم قدم النطق النطق الإنساني"[٨] ، فالأداء الصوتي يعد قرينة من القرائن المعتبرة لفهم النصوص ، بل إن " " الصوت من معايير السياق"[٩] ، وبالأصوات تؤدَى المعاني ، واللغة في مجملها "رموز صوتية محدودة ، تؤدي معاني كثيرة غير ذات حدود"[١٠] ، والأصل في اللغة الأصوات كما أشار السيوطي ، يقول : "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ؛ كدوي الريح وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ،

[١] ج . فندريس : اللغة ، تعريب : د عبد الحميد الدواخلي ، د محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠ ، ص٦٢ .
[٢] الخصائص : ٣٣/١ .
[٣] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص٢٦ .
[٤] ج . فندريس : اللغة ، ص٦٢ .
[٥] دور الكلمة في اللغة : ترجمة د كمال بشر ، ص٣٥ .
[٦] أدام شاف : فصل بعنوان : اللغة والواقع ، من كتاب : المرجع والدلالة في الفكر اللساني ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، طبعة إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٠ ، ص٤٤ .
[٧] تزيفتيان تود وروف : الأدب والدلالة ، ترجمة د محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ، ص٢٣ .
[٨] د نادية رمضان النجار : دروس في اللغة وأصواتها ، مؤسسة حورس ، سنة الطبع ٢٠١٥ ، ص١٥٧ .
[٩] د نادية النجار : القرائن بين اللغويين والأصوليين ، ط١ ، سنة ٢٠١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٣٧٦ .
[١٠] د فخر الدين قباوة : الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ، لونجمان ، ط١ ، سنة٢٠٠١ ، ص١٢ .

وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك . ثم وُلِّدت اللغات عن ذلك فيما بعد"[١] ، ودراسة المستوى الصوتي . كما عرفها الدكتور رمضان عبدالتواب . هي "الدراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية وصف مخارجه وكيفية حدوثه ، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الأصوات الأخرى ، كما تدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات في تأثيرها بعضها في بعض عن تركيبها في الكلمات أو الجمل"[٢] ، ومما تجدر الإشارة إليه أن التناول الصوتي في هذه الدراسة يقوم على غرض بيان الوظيفة الدلالية للأصوات ، إذ "يتناول علم الأصوات الوظيفي تحليل أصوات اللغة باعتبارها عناصر حاملة لوظيفة لغوية معينة ؛ فهو لا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية باعتبارها غاية ، بل باعتبارها وسيلة لتحديد المعنى"[٣] المعنى"[٣] ، يقول الدكتور حلمي خليل : "ومع تقدم الدرس اللغوي اكتشف العلماء أن للصوت للصوت جوانب غير الوصف الفيزيائي أو الفسيولوجي أو السمعي له تكمن في الوظيفة التي يقوم بها الصوت داخل البنية اللغوية ، بما له من صلة بالمعنى"[٤] ، فالوحدات الصوتية "ذات "ذات أثر مهم في إظهار مقاصد المنشئ وفتح باب تأويل دلالاتها ، هذا مع التسليم بأن حضورها يكون ذا دلالة جمالية رمزية في شكل النص في المقام الأول"[٥] ، يقول الأستاذ الزيات : "وللكلمات أرواح ، وأكثر القراء . وإن شئت فقل أكثر الكُتّاب . لا يطلبون منها غير المعاني . فإن استطعت أن تجد الكلمة التي لا غنى عنها ولا عوض منها ثم وضعتها في الموضع الذي أُعِدّ لها ، وهُنْدِس عليها ، ونُفخت فيها الروح التي تعيد إليها الحياة ، وترسل عليها الضوء ضَمِنتَ الدقة والقوة والصدق والطبيعة والوضوح ، وأَمِنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة في غير موضعها ، وذلك في الجهاد الفني غير قليل"[٦] ، وإن كان الاهتمام باللغة المنطوقة بصفة عامة مظهرًا من أهم مظاهر الدرس النصي ؛ لأنه يوضح قصد المنشئ ، فإن النص القرآني قد عني بالجانب الصوتي بوجه لا نظير له في

[١] المزهر ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، لم تذكر سنة الطبع ، ج١ ، ص١٥ .
[٢] مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧ ، ص١٣ .
[٣] د رمضان عبدالتواب : مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص٤٢ .
[٤] دراسات في اللغة والمعاجم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٢٨ .
[٥] د عبدالمقصود محمد الخولي : الصوت والإيقاع في شعر ليلى الأخيلية ، بحث بمجلة علم الفكر ، الكويت ، العدد ١٧٣ ١٧٣ ، ص٢١١ .
[٦] أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٤٥ ، ص٥٧ .

أي نص بشري ؛ إذ حكمت تلاوة النص القرآني أحكام لا يحسن تجاوزها ، كأحكام المد وصفات الحروف ومخارجها ، مما لم يتوفر لنص غير القرآن الكريم "فلغة القرآن مادة صوتية تبعد عن طراوة لغة أهل الحضر وخشونة لغة أهل البادية ، وتجمع . في تناسق حكيم . بين رقة الأولى وجزالة الثانية ، وتحقق السحر المنشود بفضل هذا التوفيق الموسيقي البديع بينهما"[١] ، والمتتبع لجهود علماء القراءات والتجويد يجد "أن معظم المؤلفات في القراءات قد اشتملت على بحوث دقيقة قيمة في أصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها ، والمد وأحكامه ومدته ، والغن وضروبه ، وتأثر أصوات الكلمة أو الكلمات المتجاورة بعضها ببعض ، وما إلى ذلك من مسائل "الفوناتيك" الخاصة باللغة العربية"[٢] .

ودلالة الأصوات على المعاني أمر قديمٌ تناولُه ، "فقضية العلاقة بين الدال والمدلول هي إحدى القضايا التي شغلت علماء العربية كما شغلت غيرهم من علماء الغرب منذ القدم"[٣] ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "فإذا ركبت الكلمات من تلك الأصوات ، واتخذت تلك الكلمات مدلولات ، وجدنا أنفسنا أمام مشكلة استرعت انتباه المفكرين منذ العصور الزاهرة لليونان والرومان ، وتلك المشكلة هي : الرابطة بين بين لفظ الكلمات ودلالتها . أخذ فلاسفة اليونان والرومان يسائلون أنفسهم عن العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها ، وعما إذا كانت هذه العلاقة تتضمن ناحية رمزية توثق بين تلك الأصوات وما تدل عليها الكلمات من أمور ندركها بالحواس والعقول ، أو أن الأمر لا يعدو مجرد المصادفة ، وأن ما نطلق عليه كلمة مثل "شجرة" كان من الممكن أن يطلق عليه أي كلمة أخرى مكونة من أصوات أخرى"[٤] أخرى"[٤] ، يقول ابن جني : "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم عظيم واسع ، ونَهْج مُتْلئِبّ عند عارفيه مأموم . وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمْت الأحداث المُعبَّر بها عنها ، فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره"[٥] ، فقد تعبّر الحروف عن معاني لا يمكن أداؤها إلا أن يُعبر

[١] د محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، دار القلم ، القاهرة ، ط٥ ، سنة٢٠٠٣ ، ص١٢٤ .
[٢] علم اللغة : د علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٧ ، ص٧٢ .
[٣] د أحمد دراج : علم الدلالة وآليات التوليد الدلالي من المقدمات إلى أحدث النظريات ، مكتبة الآداب ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص٢٤ .
[٤] من أسرار اللغة ، ص١٢٠ .
[٥] الخصائص ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ج٢ ، ص١٥٧ .

عنها بحروف معينة ذات صفات معينة كالتفخيم للدلالة على التهويل والعكس ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "عرضنا أشكالاً لا تختلف إلا في الحجم وعرضنا معها ألفاظًا مرتجلة مثل (الظاقع ، السالع) ، (الستيم ، الطقيخ) ، فوجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يختارون اللفظ المشتمل على حروف التفخيم كالقاف والطاء والظاء والخاء للشكل كبير الحجم"[١] ، وقد عُني المحدثون بهذه القضية كذلك ، يقول جوتلوب فريجه : "وإن العلاقة الثابتة بين الرمز ومعناه ومرجعه لهي من الانتظام بحيث إن كل رمز يقابله معنى معين ، وكل معنى يقابله مرجع معروف ومحدد"[٢] ، ولعل هذا الارتباط بين الصوت والمعنى من جهة السامع هو ما دعا الباحثين لوصف جهاز النطق وصفًا دقيقًا ؛ إذ في تأمل مخارج الحروف وقوف على مدى تفاعل المتكلم أو إشارة إلى بعض دلالات الأصوات الصادرة عنه ، فلا عجب أن نرى الباحثين "وصفوا جهاز النطق وصفًا دقيقًا ودرسوا طريقة إحداث الأصوات دراسات واسعة"[٣]

وقد عقد الدكتور إبراهيم أنيس فصلًا بعنوان : "استيحاء الدلالة من الألفاظ" عبّر فيه عن دلالة الأصوات على المعاني بما سمّاه "وحي الأصوات"[٤] .

"فقد توحي بعض الصيغ بنوع من التهويل ، وبعضها الآخر بشيء من الحدة"[٥] ، ويعد ذلك تجسيدًا للمعاني ، يسهم في التماسك الدلالي للنصوص ، "ولا شك أن التمثيل الصوتي للمعاني هو مجرد ظاهرة من ظواهر نصيّة كثيرة"[٦] .

ويضرب الدكتور إبراهيم أنيس مثلاً للكلمة الواحدة يتغير منها صوت فيتغير المعنى تبعًا للتغير الصوتي ، يقول : "فكلمة "تنضخ" كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف . وهي إذا قورنت بنظيرتها "تنضح" ، التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء ، يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها ، فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف ، وعلى هذا فالسامع يتصور بعد

---

[١] دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص٦٧

[٢] من فصل بعنوان : المعنى والمرجع ، لجوتلوب فريجه ، من كتاب : المرجع والدلالة في الفكر اللساني : ترجمة عبد القادر قنيني ، ص١١٠ .

[٣] د مصطفى حركات : الصوتيات والفونولوجيا ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١٤ .

[٤] دلالة الألفاظ ، ص٥٧ .

[٥] د حسني عبد الجليل يوسف : التمثيل الصوتي للمعاني ، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، سنة١٩٩٨ ، ص٦ .

[٦] د حسني عبد الجليل يوسف : التمثيل الصوتي للمعاني ، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي ، ص٦ .

سماعه كلمة "تنضخ" عينًا يفور منها النفط فورانًا قويًا عنيفًا ، والفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر ، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به .

هناك إذًا نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات ، وهي التي نطلق عليها اسم الدلالة الصوتية"[١] .

على أن هناك اتجاه يرى أن "العلاقة بين الكلمات ومعانيها محددة بالاستعمال ومدونة في المعجم"[٢] ، ومنهم من "أنكر وجود أية صلة بين الألفاظ ومعانيها"[٣] ، يقول الدكتور محمود فهمي حجازي : "ليس هناك أية علاقة بين الرمز اللغوي ومدلوله في الواقع الخارجي ، والعلاقة الوحيدة القائمة بين الرمز الصوتي واللغوي وما يدل عليه هي علاقة الرمز"[٤] .

تأكد إذن أن "للكلمة مستويان : صوتي ودلالي ، وقد يتصل المستوى الصوتي بدلالة الكلمة اتصالًا ظاهرًا أو خفيًا ، وقد لا يتصل بها"[٥] . ولذلك فإن "الحديث عن التمثيل الصوتي يتطلب حديثًا عن التجربة والرؤية والموقف الذي يتضمنه النص ، والنفاذ إلى ما وراء السطح للتعرف على تلك العلاقة الخفية بين التشكيل الصوتي والمحتوى"[٦] .

وإذا تقرر أن اللغة أداة الفكر ، فإن الأداء الصوتي أهم الوسائل اللغوية ، وإذا تقرر أن القرآن الكريم كتاب لغوي يحمل فكرًا لزم رعاية الجانب الصوتي في الكتاب العزيز ، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : "نستطيع دراسة القرآن الكريم من زوايا جد مختلفة ، ولكنها جميعًا يمكن أن تنتهي إلى قطبين أساسيين اللغة والفكر . فالقرآن كتاب أدبي وعقدي في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها"[٧] ، فإذا كان الكتاب المبين كتابًا أدبيًا عقديًا ، فالصوت مادته من حيث أدبيته وعقديته .

---

[١] دلالة الألفاظ ، ص٣٥ .
[٢] د تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٨٠ ، ص١٢٧ .
[٣] صالح سليم عبدالقادر : الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، منشورات جامعة سَبها ، ١٩٨٨ ، ص٤٦ .
[٤] د محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص٦٤ .
[٥] د حسني عبد الجليل يوسف : التمثيل الصوتي للمعاني ، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي ، ص٦٧ .
[٦] د حسني عبد الجليل يوسف : التمثيل الصوتي للمعاني ، ص٦٧ .
[٧] مدخل إلى القرآن الكريم ، دار القلم ، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠٣ ، ص١٣ .

ودلالة الأداء الصوتي في القرآن الكريم أزيد في الدلالة على المعاني من غيره ، لذا عرف انسجام حروفه وألفاظه أهل السلامة اللغوية ، يقول الرافعي : "فلما قرئ عليهم القرآن ، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ، ألحانًا لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة"[١] ، وهذا الائتلاف والتناسب يدلك على المعنى من أسهل طريق ، بل ويترجم الانفعال النفسي ، يقول الرافعي : "وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مدًا أو غنة أو لينًا أو شدة ، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع ؛ أو الإطناب والبسط ، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها ، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى"[٢] .

ولئن كانت دلالة الألفاظ على المعاني أمرًا أشبه بالفطريّ فإنها نظرة غير متفق عليها بالضرورة ؛ حيث "يرى فندريس أنه من الحمق الحكم بوجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالتها ، وقد سخر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأي أمثال "سان توماس الاكويني" غير أنه اعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر ، ولكن المرء في رأيه حين يقيم ائتلافًا بين اللفظ ومدلوله ، إنما يسير على نهج عادة قديمة جدًا حين كانت الألفاظ تعد جزءًا لا يتجزأ عن الأشياء ، وحين كان الاسم له منزلة الجسد والروح كما هو الحال الآن عند بعض الأمم البدائية الذين يعتقدون أن الإنسان يتكون من الروح والجسد والاسم"[٣] .

وليس الأمر متوقفًا عند دلالة الحروف فحسب من حيث التفخيم والترقيق والمهموس والمجهور ، بل نلحظ أن التغني له دلالة ، وهو يؤدي دورًا ليس بالمُغْفَل في الوصول للقصد ، فقد "دلت الملاحظات الحديثة على أن كثيرًا من اللغات في صورها القديمة كانت تعنى بالتنغيم ، وقد تعددت الدرجات الصوتية ، من صعود وهبوط في أثناء النطق ، وأن مثل هذا قد أخذ في الانقراض تدريجيًا حتى أصبح الأمر على الصورة التي نألفها الآن ، كذلك لاحظ

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مؤسسة المختار ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص١٦٨ .
[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص١٦٩ .
[٣] د إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص٥٩

الباحثون أن تعدد الدرجات الصوتية لا يزال شائعًا في كثير من لغات الأمم البدائية ، مما جعل المبشرين من الأوروبيين يصفون القوم بأنهم يغنون في أثناء كلامهم حتى ليحسب السامع أن كل كلامهم غناء ، وهم عادة ينسبون هذه الظاهرة إلى قوة العاطفة في هؤلاء القوم ، فكلامهم وقت الغضب ، وكلامهم وقت السرور يتضمن سلسلة متنوعة من الدرجات الصوتية"[١] .

ومهما يكن من أمر فإن النظر في دلالة الأصوات على المعاني ليس بدعًا من الأمر ، وقد عقد ابن جني في الخصائص "أربعة أبواب حاول فيها الكشف عن تلك المناسبة الخفية بين الألفاظ ومدلولاتها ، ومن ثم مال إلى القول بوجود مناسبة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها ؛ بل جعلها سرًا من أسرارها العظيمة ، وهذه الأبواب هي :

- باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني[٢] .
- باب الاشتقاق الأكبر[٣] .
- باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني[٤] .
- باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني[٥] ."[٦] .

وزيادة على عموم دلالة الألفاظ على المعاني ، فإن القرآن الكريم له خصوصية الالتزام بأحكام التلاوة ، وتلك الخصوصية تجعل الألفاظ أقدر على الدلالة على المعاني ، لأن الألفاظ حين تُؤدَى بقدر من التغنّي يحتّمه الالتزام بأحكام التلاوة ، فإنها تصوّر المعنى ، ولذلك وجدنا الغناء أدل على المعنى من الكلام المعتاد ، ولستُ أوازن بين القرآن والغناء ، ولست كذلك أعُد كل قارئ للقرآن ذا صوت حسن ، ولكن أحكام التلاوة جديرة بأن تضبط

[١] د إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص٢٦ .
[٢] الخصائص ٥٠١/٢ .
[٣] الخصائص ١٣٣/٢ .
[٤] الخصائص ١٤٥/٢ .
[٥] الخصائص ١٥٢/٢ .
[٦] د مجدي إبراهيم محمد : بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣ ، ص٣٩ .

أداء التالي ، ولو لم يكن ذا موهبة صوتية ، وما ذاك إلا لأن القارئ إذا استطاع الالتزام بأحكام التلاوة انضبط أداؤه كما لو كانت له موهبة الصوت الحسن ، لأن الالتزام بأحكام التلاوة يجعل القارئ مسيطرًا على تنفسه عند الأداء الصوتي بحيث يتحكم في إيقاع الكلمات فتخرج متناغمةً ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "من الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني . فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تكاد تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية ، فليس في حنجرة المطرب أي عنصر مادي تمتاز به على غيره من الناس ، وإنما الفرق في الموهبة التي اختص بها ، وهي سيطرته على عملية التنفس ، فهو أقدر من غيره على تنظيم تنفسه والسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين والقدرة على تكييفه وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين ، حتى يصدر من الفم أو الأنف . هذا هو كل شيء في الغناء أو ما يُسمى جمال الصوت"[1] .

ولئن كان الأمر كذلك فلا شك أن الأداء القرآني المنضبط بأحكام التلاوة دال على المقاصد القرآنية ومسهم في تبيينها ، وليس أدل على ذلك من دلالة بعض الألفاظ المفخمة أحرفها على التخويف ، واستعمال الألفاظ المشتملة على أحرف اللين والأحرف المرققة في سياق البشرى ، وتوظيف المد الطويل في التهويل أو التعظيم ، وكذلك مخارج الحروف ، والدقة الأدائية المشروطة في النطق القرآني ، مما جعل بعض اللغويين يلتفت إلى الفروق النطقية للقرآن بين المنتمين إلى تأثيرات جغرافية متباينة . وإن لم يكن القصد من ذلك التتبع الوقوف على تأثير ذلك في دلالة النص ، فإنه مرتبط بالضرورة بالدلالة القرآنية ، إما بيانًا وتوضيحًا ، وإما انحرافًا بالمعنى عن المقصود ، وليت الأمر يقتصر على الجانب الأدائي للتركيب القرآني أو اللفظة القرآنية ، بل وجدنا من اللغويين مَن يقف على طريقة أداء الحروف في القرآن الكريم على وجه الخصوص ، يقول الدكتور تمام حسان : "ونستطيع أن نضرب مثلًا لذلك بالمعاصرين من قراء القرآن لدى أدائهم بعض الأصوات العربية . فمن ذلك أن قارئ القرآن إن كان سوريًا أو لبنانيًا ، أو من إحدى دول المغرب العربي نطق بالجيم رخوة كأنها شين مجهورة ، وإن كان مصريًا أو سودانيًا أو من شبه الجزيرة العربية

[1] د إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة٢٠١٣ ، ص١٢ .

نطق بها مركبة من عنصري الشدة ثم الرخاوة (أو التعطيش كما يسمونه بالنسبة للجيم) ، ومعنى هذا أن الجيم على ألسنة الطائفة الأولى تعطيش خالص ، وعلى ألسنة الطائفة الثانية معطشة بعد شدة ، وفي هذه الحالة الثانية يتفق النطق مع وصف السلف لصوت الجيم"[1] ، ويبيّن تحليل الدكتور تمام حسان للأداء الصوتي بالنسبة للحرف مدى دقة التحليل اللغوي للصوت القرآني ، ولو كان حرفًا ليس له دلالة إلا إذا انتظم في لفظ ينتظم في تركيب ، فلا شك أن دلالة الأداء الصوتي في الألفاظ وفي التراكيب تسهم بالضرورة في تبيين الدلالة ، سواء أكان ذلك يتتبع مخارج الحروف وما ترمي إليه من دلالات صوتية ، أو بالمد وما يقتضيه ، أو بغيرها من ظواهر الصوت التي يتبين أثرها في الدلالة ، وأتعرض لبعض تلك الظواهر في القرآن الكريم فيما يلي :

دلالات الألفاظ المشتملة على المد الطويل :

الدلالة على التعظيم :

وذلك ظاهر غاية الظهور في افتتاح بعض سور القرآن بحروف الهجاء الممدودة ثم ذكر أوصاف العظمة للكتاب العزيز ، أو الكلام عن مُنزِل الكتاب جل شأنه ، أو تعظيم شأن النبي . صلى الله عليه وسلم . ، كما في الآيات :

(الم {البقرة/١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {البقرة/٢} .

(الم {آل عمران/١} اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ {آل عمران/٢} نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {آل عمران/٣} .

(المص {الأعراف/١} كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {الأعراف/٢} .

(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) الرعد/١ .

(طسم {الشعراء/١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {الشعراء/٢} .

(يس {يس/١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ {يس/٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {يس/٣} .

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ {القلم/١} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {القلم/٢} .

[1] د تمام حسان : التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، ص٦٢ .

(حم {غافر/١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {غافر/٢}
(حم {فصلت/١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{فصلت/٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {فصلت/٣} .
(حم {الشورى/١} عسق {الشورى/٢} كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {الشورى/٣} .

وقد جاء ذكر الكتاب العزيز بعد هذا المد البالغ ست حركات ليلفت إلى عظمة ذلك الكتاب جريًا على عادة القرآن كله في التقديم لذكر الكتاب بما يناسبه (صوتيًا) من المد الموحي بمعاني العظمة وأن ذلك الكتاب لا يُطاول .

دلالة المد على التهويل :

قد يجيء المد مصورًا هول المشهد الذي تصوره الآيات كما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ {غافر/٤٧} ، فلفظ "يتحاجون" يتبين منه هول ما هم فيه من عُسرة ، وقد تتبين دلالة المد على التهويل إذا استبدلنا لفظًا آخر باللفظ المشتمل على المد (يتحاجون) ، فلو استبدلنا به لفظ "يختصمون" على سبيل المثال لما وقع في النفس عند المتلقي موقع (يتحاجون) ، ولما كان له ذلك الأثر الدلالي الذي تدل عليه الكلمة الممدودة ، حتى لو افترضنا بديلًا من الحروف الأصلية للكلمة المشتملة على المد نفسها ، كأن نفترض أن يُعبَّر باللفظ "يحتج بعضهم على بعض" ، فإن دلالة التهويل في "يتحاجون" ظاهرة لا يخطئها إدراك السامع .

دلالة المد على الإعراض والكبر :

قد يجيء المد معبرًا عن صورة من صور الاستكبار والعتو ، وذلك حين يمتد إعراض المُعرضين بعد بيان الآيات ، وهذا ما تصوره الآية الكريمة : (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ {الشورى/١٦} ، فكلمة "يحاجون" تصور طرفًا من تنطعهم في حجاج لا فائدة منه إلا الاستكبار بعدما رأوا الآيات بينات ، ولو أنْ استبدلنا بها لفظ "يجادلون" المشتمل على مد

طبيعي غير ملاحظ ، فإننا نجد فرقًا واضحًا بين دلالة اللفظين ؛ إذ دل اللفظ القرآني المشتمل على مد طويل أدل على إعراضهم من اللفظ المرادف له .

دلالات الألفاظ المشتملة على الأصوات المفخمة :

الدلالة على الإغواء :

جاء التحذير من الاستجابة لإغواء الشيطان في قوله تعالى : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {فصلت/٣٦} ، فتأمل لفظة "ينزغنك" ولفظة "نزغ" وكيف دل حرف الغين المفخم باقترانه مع الزاي ، على معنى الإغواء والتضليل .

وقد اقترن هذان الحرفان وأفاد اقترانُهما المعنى نفسه في آيات أخر ، كما في قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ) آل عمران/٧ ، فكأن ذلك الحرف من حروف الاستعلاء[1] قد جاء لأداء معنى يثقل على النفس المستقيمة تقبلُه .

الدلالة على التعذيب :

قوله تعالى : (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ {غافر/٧١} ، لفظة "الأغلال" اشتملت على الغين المفخمة ثم اللام التي تحبس الصوت من خلال إطباق اللسان على سقف الحنك ، وفي ذلك دلالة على العذاب المهين ، فكذلك يُعذبون ، فهم يرون هول العذاب ، ولا يُنقَذون منه ، فكانت لفظة "الأغلال" معبرة عن تلك المعاني .

وهذا النظر في ترتيب الحروف ودلالة ذلك سبق إليه ابن جني ، إذ يقول : "ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع ، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبَها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سَوْقًا للحروف على سمْت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب . وذلك قولهم : بحث . فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصَحلها تشبه مخالب الأسد وبراثِن الذئب ونحوهما إذا غارت

[1] حروف الاستعلاء أو حروف التفخيم هي : الصاد والضاد والخاء والغين والطاء والقاف والظاء .

في الأرض ، والثاء للنفث ، والبث للتراب ، وهذا أمر تراه محسوسًا محصَّلاً ، فأي شبهة تبقى بعده ، أم أي شك يعرض على مثله"[1] .

كذلك جاء التعبير القرآني بألفاظ مشتملة على أحرف مفخمة ليدل الأداء الصوتي على هول العذاب كما في الآيات :

(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ {فصلت/١٣} .

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) فصلت/١٦ .

(فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {فصلت/١٧} .

فالألفاظ "صاعقة" و "صرصرًا" دالة على التخويف بما تشتمل عليه من أحرف التفخيم "الصاد ، والقاف ، والراء المفخمة في ذلك الموضع" .

دلالة الألفاظ المشتملة على الحروف المرققة وأحرف اللين :

الدلالة على الجزاء الحسن :

قوله تعالى : (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {فصلت/١٨} .

فلفظ (نجينا) حروفه مرققة مبدوءة بالنون ، فيُطبِق الناطق لسانه على سقف الحنك في بداية الكلمة ، ثم ينفرج فمه عن هواء كان قد انحبس عند النطق بالنون ، كأن ثمة علاقة رابطة بين أحرف الكلمة ، وشأن المضطرين الذين ضاقت بهم السبل ، فجاءت النجاة فرجًا بعد ضيق ، ومثل ذلك يحدث في حركة الفم عند النطق بلفظة "نجى" .

وليس هذا التناول السابق من إنشاء النصيين أو هو جديدٌ استحدثه علم اللغة النصي ؛ بل لقد سبق إليه أهل العربية من قديم ، فقد عقد ابن جني بابًا سماه "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" يقول فيه : "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"[2] ، وضرب ابن جني في هذا الباب أمثلةً لدلالة الألفاظ على المعاني ، يقول : "ومن ذلك قولهم : خَضِم ، وقضِم . فالخَضْم لأكل الرَّطْب كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطْب . والقَضْم للصُلْب اليابس ؛ نحو قِضمت الدابَّة شعيرها ، ونحو ذلك . وفي الخبر "قد يُدْرَك الخَضْم

[1] الخصائص ، ج٢ ، ص١٦٣ .
[2] الخصائص ، ج٢ ، ص١٥٢ .

بالقَضْم" أي قد يدرك الرخاء بالشدة ، واللين بالشَظَف . وعليه قول أبي الدرداء : (يخضمون ونقضم والموعد الله) . فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب ، والقاف لصلابتها لليابس ؛ حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[١] .

ويسترسل ابن جني في تلك المسألة حتى يضرب لها مثلاً بالتعبيرات الأكثر تداوليةً ، يقول : "ومن ذلك قولهم : شد الحبل ، ونحوه . فالشين بما فيها من التفشّي تشبّه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ، ثم يليه إحكام الشدّ والجذب ، وتأريب العَقْد ، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ، لا سيما وهي مدّغمة ، فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها . ويقال شدّ وهو يُشِدّ . فأما الشدّة في الأمر فإنها مستعارة من شدّ الحبل ونحوه ، لضرب من الاتّساع والمبالغة ؛ على حد ما نقول فيما يشبه بغيره لتقوية أمره المراد به"[٢] .

وهناك بعض الظواهر الصوتية التي تسهم في تعيين الدلالة ، بمعنى أن اللفظ الواحد قد تتغير دلالته بحسب التلوين الصوتي لهذا اللفظ الواحد ، فمرة يدل على الاستفهام ، ومرة يدل على التوبيخ ، ومرة يدل على السخرية على سبيل المثال ، وهكذا تتعدد دلالات اللفظ الواحد بتغير الأداء الصوتي له ، "خذ مثلًا تلك العبارة العامية "لا يا شيخ؟!" وتذكر أنك تستطيع أن تنطق بها بعدة نغمات ، وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة ، فهي مرة لمجرد الاستفهام ، وأخرى للتهكم والسخرية ، وثالثة للدهشة والاستغراب .. وهكذا . فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة"[٣] ، بل يؤدي التلوين الصوتي إلى دلالات أو تبيين انفعالات لا تُفهم من المعنى الحرفي إلا بذلك التلوين الصوتي ، يقول جوزيف فندريس : "فحينما أرى حادثًا يقع أمامي فأصيح راثيًا لحال صاحبه : "آه ! المسكين !" ، وأصادف صديقًا لم أكن أتوقع لقاءه فأقول له : "أنت! هنا!" ، فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية واضحة كل الوضوح ، فإذا صيغت في لغة المنطق الجدلية صارت : "أرثى لهذا المسكين" أو "يدهشني أن أراك هنا"[٤] .

---

[١] الخصائص ، ج٢ ، ص١٥٨ .
[٢] الخصائص ، ج٢ ، ص١٦٣ .
[٣] د إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص٣٦ .
[٤] اللغة ، ص١٨٤ .

وهذا التغير أو التلوين الصوتي عبارة عن ظواهر صوتية موحية بالدلالة المرادة ، وأهم هذه الظواهر : **النبر** ، و**التنغيم** ، وسأتناول الظاهرتين وأثرهما في التماسك الدلالي فيما يلي :

النبر :

"برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها"[١] ، وهذا الاختلاف في درجة الصوت قد ينبني عليه اختلاف في المعاني .

ويعرف الدكتور تمام حسان النبر بقوله : "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"[٢] ، ويعرفه الدكتور أحمد كشك بقوله : "النبر وضوح سمعي يميز مقطعًا عن المقاطع الأخرى في الكلام"[٣] ، أو هو "إعطاء مزيد من العناية في نطق مقطع صوتي ، فيصبح هذا المقطع ظاهرًا في الأداء بقوته الصوتية ، أو الضغط على مقطع من المقاطع بقوة لإظهاره ، ويحقق ظهوره في الأداء دلالة تتعلق به"[٤] ، "فالنبر معناه أن مقطعًا من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيدًا من الضغط أو العلو (نبر علوي stress accent) أو يعطي زيادة أو نقصًا في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة الصوت pitchaccent)"[٥] .

ورعاية النبر في القرآن الكريم من فقه القارئ وفهمه لمعاني القرآن ، وهو من حسن البلاغ وحسن التلقّي كذلك ويؤدي ذلك إلى التماسك النصي ولا بد ، وعدم رعاية النبر قد يؤدي إلى فساد المعنى وبالضرورة إلى تفكك النص وعدم تماسكه ، "فالفرق . مثلًا . بين فصل حرف العطف أدائيًا عما بعده عن طريق الضغط على حركته ووصله في النماذج الآتية لا يخفى على من يعرف شيئًا عن العربية ، من ذلك : "فقعوا ، فقست ، وَلِي ، وهُم" .

---

[١] د إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص١٦٣ .
[٢] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٠٤ .
[٣] من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي ، مكتبة المدينة ، ط١، ١٩٨٣ ، ص٥٤ .
[٤] د محمود عكاشة : أصوات اللغة دراسة في الأصوات ومخارجها وصفاتها وتماثلها ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٢٠ .
[٥] ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص٩٣ .

وعلى النقيض من ذلك نقارن بين نطق الحرف الأول من الكلمات الآتية بدون ضغط على أنه جزء من بنية الكلمة ونطقه بضغط على حركته على أنه كلمة مستقلة : "وسطًا ، وعد ، وجد" . وهناك كثير من النماذج المختلفة عن النماذج السابقة في طبيعتها وفيما يحدث لها حين يوضع النبر في غير موضعه ، وأيضًا في الآثار الناتجة عن ذلك"[١] .

ومن الأمثلة التي يلزم فيها مراعاة النبر ليستقيم المعنى في سور الدراسة قوله تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ {فصلت/٣٩} ، فنطق "وربت" بالضغط على حركة الواو وحركة الراء تسلم معه مستويات اللغة كما سيتضح ، أما نطق "وربت" بعدم الضغط على ثلاث الحركات فإنه يؤدي إلى فساد في مستويات اللغة كالتالي[٢] :

[١] د وليد مقبل السيد : النبر في القرآن الكريم ، ص١٦ .
[٢] د وليد مقبل السيد : النبر في القرآن الكريم ، ص١٩٨ .

المستويات اللغوية	نطق "وربت"	نطق "وربت"
١- على المستوى الصوتي	الضغط على حركة الواو يشير إلى انفصالها ككلمة ، ويستتبع ذلك الضغط على حركة "الراء" الذي يؤكد انفصال الواو .	عدم الضغط على حركة "الواو" يشير إلى اتصالها كجزء من الكلمة ، ويستتبع ذلك ويؤكده عدم الضغط على حركة الراء .
٢- على المستوى المعجمي	"ربا" : ربا بالشيء يربو رُبُوًّا ورِباء زاد ونما ، وأربيته : نميته[١] .	"ورب" الوَرْب : العضو ، وقيل : هو ما بين الأصابع ، والوَرْب : الفساد . وَرَبَ جوفه وربا : فسد[٢] .
٣- على المستوى الصرفي	"ربت" فعل ماض ، ثلاثي مجرد ، معتل ناقص ، محذوف اللام ، على وزن "فعت" . و"التاء" حرف مبني لا يدخل في إطار الدرس الصرفي .	"ورب" فعل ماض ثلاثي مجرد ، وهو من نوع المعتل المثال ، ووزنه "فَعَلَ" . و"التاء" حرف مبني لا يدخل في إطار الدرس الصرفي .
٤- على المستوى النحوي	"الواو" حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب . "ربت" فعل ماض مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هي" . و"التاء" تاء التأنيث حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب .	"ورب" فعل ماض مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هي" . "التاء" تاء التأنيث حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب .
٥- على المستوى الدلالي	المعنى أن من أدلة قدرة الله ـ تعالى ـ الأرض اليابسة الجدبة نراها إذا أنزل الله عليها الماء تحركت بالنبات وأنبتت من جميع أنواع الزروع .	بعد أن كان إنبات الأرض دليلًا على قدرة الله أصبح دليلًا على فسادها ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . وهذا يؤدي إلى فساد المعنى وتفكك الدلالة .

فمراعاة موضع النبر يحسن أداء المعنى المراد ويتحقق التماسك الدلالي ، وبإغفال ذلك يفسد المعنى .

[١] اللسان ، ج٤ ، ص٥٤ .
[٢] اللسان ، ج٩ ، ص٢٦٨ .

التنغيم :

"يعرفه المحدثون بأنه موسيقى الكلام[١] ، "فهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"[٢] ، وقد سبق علماء العربية السابقون إلى الإشارة إلى التنغيم وأثره في الدلالة ، يقول سيبويه في الكتاب : "اعلم أن المندوب مدعو ، ولكنه متفجع عليه ، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف ؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"[٣] ، وأشار ابن جني إلى دلالة التنغيم على المعاني في قوله : "وقد حُذفت الصفة ودلت الحال عليها . وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سِير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وأنت تحس ذلك من نفسك إذا تأملته . وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه ، فتقول : كان والله رجلًا ! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها ، أي رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانًا ! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك . وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنسانًا ! وتَزْوِي وجهك وتقطّبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنسانًا لئيمًا أو لِحَزًا أو مبخَّلًا أو نحو ذلك"[٤] .

ومن مواضع التنغيم في القرآن الكريم أن يقرأ القارئ الآيات المشتملة على السؤال بنغمة الاستفهام ، بحيث يُوَفّى الغرض من الآية ؛ فيُستعان بنغمة الاستفهام الإنكاري عند السؤال الموضوع للاستنكار كقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) الشورى/٢١ ، ومثل هذا السؤال الإنكاري قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ {الزخرف/١٦} ، ومثله أيضًا قوله تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

[١] د إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص١٢٣ .
[٢] مايو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة د أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط٩ ، ٢٠١٤ ، ص٩٣ .
[٣] الكتاب ، ج١ ، ص٣٢١ .
[٤] ابن جني : الخصائص ، ج٢ ، ص٣٧١ .

السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ {الجاثية/٢١} .

وقد يأتي السؤال للتعجب فيُراعَى ذلك الغرض في نغمة القراءة ، وذلك كقوله تعالى : (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ {الزخرف/٧٩} أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ {الزخرف/٨٠} ، فإن السؤالين في هاتين الآيتين للتعجب من حال المنكرين ، فيؤدي التنغيم دوره في تبيين تلك الدلالة ، وإن أدى القارئُ الآية بصيغة السؤال الذي يفيد استفهامًا لكان ذلك إخلالًا بالمعنى ، فيتعين تنغيم السؤال بنغمة المتعجِب لا المستفهم ، وبذلك يتبين أثر التنغيم في حبك النص .

ومن مجيء السؤال للتعجب كذلك قوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ {الزخرف/١٩} ، فقوله : أشهدوا خلقهم ؟ استفهام تعجبيّ تسهم نغمة التعجب في بيان دلالته حيث إن التعجب هنا من وسائل إنكار حالهم التي كانوا عليها وهي جعلهم الملائكة إناثًا ، والتنغيم يؤدي ذلك المعنى المراد من الآية الكريمة .

ومن مواضع التنغيم أن تُقرأ الآيات المشتملة على النواهي والأوامر بنغمة التحذير ، كقوله تعالى : (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ {فصلت/٣٧} .

ومن مواضع التنغيم الآيات المشتملة على التوبيخ ، فتكون نغمة القراءة موافقة لما جاءت به الآية ، وذلك كقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {الجاثية/٢٣} ، ففي الآية ثلاثة أسئلة كلها لتوبيخ من اتبع هواه في تتابع يزيد الغرض وضوحًا ، ويمكننا أن نقسم الآية كالتالي :

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ؟

فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ؟

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟

ويتضح التوبيخ في تلك الأسئلة من خلال التنغيم .

وقد يأتي السؤال في القرآن الكريم وغرضه التعجيز ، وللتنغيم دوره في بيان غرض السؤال ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ {الأحقاف/٤} ، فالسؤال في أول الآية ثم الأمر بعده ثم السؤال ثم الأمر بعده ، قد جاءت تلك الأساليب للتهكم والتعجيز ، ولنا أن نتصور الآية مقسمة إلى أساليب إنشائية متتالية تؤكد الغرض من تلك المتتالية من الإنشاء في هذه الآية ، وهو التهكم والتعجيز :

أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ؟ سؤال للتهكم والسخرية .

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ . أمر للتعجيز .

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ؟ سؤال للتهكم ، محذوف الأداة (أداة الاستفهام) ويعوَّض عنها بالتنغيم .

ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . أمر للتعجيز .

والتنغيم يفي بكل غرض من هذه الأغراض ، ويدل عليه .

من خلال التناول السابق يتبين أن تدبر الأداء الصوتي للقرآن الكريم يُنبِئ بانسجام الأصوات مع المعاني بصورة تفضي بالضرورة إلى نتيجة حاكمة بحبك النص .